

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الإنسان مكية

هَذَا آدَمُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ بَدَأَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١).

﴿هل﴾ بمعنى قد في الاستفهام خاصة، والأصل أهل بدليل قوله: أهل راونا بسفع القاع ذي الأكم، فالمعنى: أقدم أتى على التقدير والتقريب جميعًا. أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب ﴿حين من الدهر لم يكن﴾ فيه ﴿شيئًا منكورًا﴾ أي: كان شيئًا منسيًا غير منكور نطفة في الأصلاب. والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله: **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ شَجَرٍ فَكَيْفَ نَعْبُدُهُ سَمِيحًا بَصِيرًا** (٢).

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد. **فإن قلنت:** ما محل لم يكن شيئًا منكورًا؟ قلنت: محله النصب على الحال من الإنسان. كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير منكور، أو الرفع على الوصف لحين كقوله: ﴿يومًا لا يجزي والد عن ولده﴾ (٦) وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال: ليتها تمت، أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئًا غير منكور ولم يخلق ولم يكلف. ﴿نطفة أمشاج﴾ كبرمة أعشار وبرد أكباش، وهي أفاض مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويقال أيضاً: نطفة مشج قال الشماع:

طوت أحشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين
ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرًا له بل هما مثلان في
الأفراد لوصف المفرد بهما، ومشجه ومزجه بمعنى.
والمعنى من نطفة قد امتزج فيها المان. وعن ابن مسعود:
هي عروق النطفة. وعن قتادة: أمشاج ألوان وأطوار. ويريد
أنها تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ﴿نبتيه﴾ في موضع
الحال أي: خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه، كقولك:
مررت برجل معه صقر صائدًا به غداً، تريد قاصدًا به
الصيد غداً. ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال
فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة. وعن ابن عباس:
نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقه، وقيل: هو في تقدير
التأخير. يعني: فجعلناه سميحًا بصيرًا لنبتيه.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا (٣).

مَلَأَ سَدًّا وَلَا مَلَأَ (٤) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٥).

﴿فلا صدق ولا صلى﴾ يعني: الإنسان في قوله: ﴿أحسب الإنسان أن نجمع عظامه﴾ (١) إلا ترى، إلى قوله: ﴿أحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (٢) ومعطوف على ﴿يسأل أيا ن يوم القيامة﴾، أي: لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى. ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه. وقيل: نزلت في أبي جهل.

ثُمَّ دَمَّ إِلَهُ أَهْلِهِ يَتَكَبَّرُ (٦).

﴿يتمطى﴾ يتبختر وأصله يتمط أي: يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه، وقيل: هو من المطا وهو الظهر لأنه يلويه، وفي الحديث: «إذا مشت أمتي الميططاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم». (٣) يعني: كذب برسول الله ﷺ وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارًا بذلك.

أُولَئِكَ لَمْ يَأْزَلْ (٧) ثُمَّ أُولَئِكَ لَكُمْ أَهْلًا (٨) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًّا (٩) أَلَمْ يَكُنْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَرِّ بَيْنَ يَدَيْنِ (١٠).

﴿أولى لك﴾ بمعنى: ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.

ثُمَّ كَانَتْ عِلْقَةً مَلَقَتْ نَسْرًا (١١).

﴿فخبر﴾ فقدر ﴿فسوى﴾ فعدل.

جَعَلَ مِنْهُ مِنَ الْزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (١٢).

﴿منه﴾ من الإنسان ﴿الزوجين﴾ الصنفين.

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَّمَ أَنْ يُحْيِيَ الْكَوْكَبَ (١٣).

﴿ليس ذلك﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بقادر﴾ على الإعادة، وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك بلي» (٤)، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة». (٥)

(5) نكره الثعلبي، وابن مروي، والواحي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/

(6) سورة لقمان، الآية: 33.

(1) سورة القيامة، الآية: 3.

(2) سورة القيامة، الآية: 36.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: (174) (الحديث رقم: 2261).

(4) لم أجده عند أبي داود، وأخرجه الحاكم في المستدرک 510/2.

غايته، وأما العين فيها يمزجون شرابهم. فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول شربت الماء بالعسل. **﴿يفجرونها﴾** يجرونها حيث شأوا من منازلهم **﴿تفجيزاً﴾** سهلاً لا يمتنع عليهم.

يُؤُونَ بِأَثَرِ رِيَاوُنَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَبِيرًا (٧).

﴿يوفون﴾ جواب من عسى يقول: ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالندى مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى **﴿مستطيراً﴾** فاشياً منتشراً بالغاً أقصى المبالغ، من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر.

وَيُطْمِئِنُّ الْعُلَمَاءُ عَلَى خَيْرٍ مِّنْكَ وَبِمَا وَابَرَا (٨).

﴿على حبه﴾ الضمير للطعام أي: مع اشتهاه والحاجة إليه. ونحوه وأتى المال على حبه لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. وعن الفضيل بن عياض: على حب الله **﴿واسيراً﴾** عن الحسن: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه. فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه⁽⁶⁾. وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات. وعن قتادة: كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه. وعن سعيد بن جبير: وعطاء هو الأسير من أهل القبلة. وعن أبي سعيد الخدري: هو المملوك والمسجون، وسمى رسول الله ﷺ الغريم أسيراً فقال: غريمك أسيرك فاحسن إلى أسيرك⁽⁷⁾.

إِنَّمَا تُطْمِئِنُّ بِرَبِّكَ إِنَّكَ لَدَيْدٌ مُّسْكِرٌ خِرَافًا وَكُنُوفًا (٩).

﴿إنما تطعمكم﴾ على إرادة القول، ويجوز أن يكون قولاً باللسان منعاً لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم: لطفاً وتفقيهاً وتنبيهاً على ما ينبغي أن يكون عليه من إخلاص لله، وعن عائشة رضي الله عنها أنها

وهو من التعسف شاكراً وكفوراً حالان من الهاء في هديناه⁽¹⁾ أي: مكانه وأقدرناه في حالته جميعاً أو دعوانه إلى الإسلام بأئلة العقل والسمع. كان معلوماً منه⁽²⁾ أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي: عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكراً وإما سبيلاً كفوراً. كقوله: **﴿رهيناه النجدين﴾**⁽³⁾ وصف السبيل بالشكر والكفر مجاز. وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكراً فبتوفيقنا وأما كفوراً فبسوء اختياره، ولما نكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد.

إِنَّمَا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَاعْتَدْنَا لِالْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠).

وقرى: سلاسل غير منون وسلاسل بالتنونين وفيه وجهان: أحدهما أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق⁽⁴⁾ ويجري الوصل مجرى الوقف، والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومن لسانه على صرف غير المنصرف.

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَمْشُونَ مِّنْ كَأْسٍ كَانَ مَرْزُوقًا كَأْوَرًا (١١).

﴿الأبرار﴾ جمع بر أو بار كرب وأزباب وشاهد وأشهاد. وعن الحسن: هم الذين لا يؤنون النور، والكأس الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأساً **﴿مزلجها﴾** ما تمزج به. **﴿كافوراً﴾** ماء كافور وهو اسم عين في الجنة مأوفا في بياض الكافور ورائحته وبرده⁽⁵⁾.

عَنَّا يَمْشِي بِهَا يَبَادُ اللَّهُ بِمَنْجَرِهَا تَبِيرًا (١٢).

﴿وعيناً﴾ بدل منه. وعن قتادة: تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك. وقيل: تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور. وعيناً على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل: يشربون فيها خمراً خمراً عين أو نصب على الاختصاص.

فَإِن قُلْتُمْ: لِمَ وَصَلَ فِعْلُ الشَّرْبِ بِحَرْفِ الْإِبْتِدَاءِ أَوَّلًا وَبِحَرْفِ الْإِلصَاقِ آخِرًا؟ قُلْتُمْ: لِأَنَّ الْكَأْسَ مَبْدَأَ شَرْبِهِمْ وَأَوَّلَ

(1) قال أحمد: هذا من تحريفه المنكر، وهو عند أهل السنة على ظاهره.

(2) قال أحمد: واستحسانه لقراءة أبي السمال لتخيله أن في التقسيم إشعاراً بفرضه الفاسد، وليس كذلك فإن التقسيم يحتمل الجزاء إما شاكراً فمثاب، وإما كفوراً فمعاقب، ويرشد إليه نكر جزاء الفريقين بعد قوله تعالى: **﴿سلاسل وأغلالاً﴾**.

(3) سورة البلد، الآية: 10.

(4) قال أحمد: وهذا من الطران الأول: لأن معتقده أن القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبي ﷺ في تفاصيلها، وأنها موكولة إلى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم، كما مر له وطم على ذلك ههنا، فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق إليه اللسان في غير موضعه لتمرنه عليه في موضعه، والحق أن جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواتراً عنه ﷺ، وتنوين هذا على لغة من يصرف في نثر الكلام جميعاً ما

(5) لم يخرج الزيلعي.

(6) لم يخرج الزيلعي.

(7) لم يخرج الزيلعي.

كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم! وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد ههناك الله في أهل بيتك فاقراه السورة⁽²⁾.

فَإِنْ قُلْتُمْ: ما معنى ذكر الحرير مع الجنة؟ **قُلْتُمْ:** المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستاناً فيه مكلل هنّي وحريراً فيه ملبس بهي. يعني: أن هواءها معتدل لا حرّ شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث: هواء الجنة سجع لا حرّ ولا قرّ، وقيل: الزمهرير القمر. وعن ثعلب أنه في لغة طين وأنشد:

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعها والزمهرير مازهر والمعنى: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر.

وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَزِيلًا ﴿٧﴾.

فَإِنْ قُلْتُمْ: «ودانية عليهم ظلالها» علام عطفت؟ **قُلْتُمْ:** على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين، وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم، إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير راثين فيها شمساً ولا زمهريراً. ودانية عليهم ظلالها وبخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل: وجزاهم جنّة جامعين فيها بين البعد عن الحرّ والقرّ وبنوّ الظلال عليهم. وقرئ: ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال. والمعنى: لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً. والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكثين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنّة، ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنّة أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين، كقوله: «ولمن خاف مقام ربه جنتان»⁽³⁾ لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا.

فَإِنْ قُلْتُمْ: فعلام عطف «ونللت»؟ **قُلْتُمْ:** هي إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية، وإذا نصبها على الحال فهي حال من دانية أي: تدنو ظلالها عليهم، في حال تنليل قطوفها لهم، أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومثللة قطوفها، وإذا نصب ودانية على الوصف فهي صفة مثلها إلا ترى أنك لو قلت: جنّة نللت قطوفها كان صحيحاً وتنليل القطوف أن تجعل نللاً لا تمتنع على قطوفها كف شاؤا أن تجعل نليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم: حائط نليل إذا كان قصيراً.

وَبُنَاتٌ عَلَيْهِمْ كَبَائِرُهُنَّ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٨﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ

كانت تبعث بالصنفة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا نكر دعاءً دعت لهم بمثل ليبقى ثواب الصنفة لها خالصاً عند الله، ويجوز أن يكون ذلك بياناً وكشفاً عن اعتقادهم وصحة نيّتهم وإن لم يقولوا شيئاً، وعن مجاهد: أما أنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأننى عليهم. والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر.

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَيْرًا قَطِيرًا ﴿٩﴾.

«إنا نخاف» يحتمل إن إحساننا إليكم للخوف من شدة تلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصنفة، ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم: نهارك صائم. روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبهه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل. والقطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه. قال الزجاج: يقال اقمطرت الناقة إذا رمعت نذبتها وجمعت قطريها وزمت بانفها، فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة:

واصليت الحروب في كل يوم باسل الشر قطرير⁽¹⁾ الصباح

فَوَدَّعْتُهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيْتُهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١٠﴾.

«ولقاهم نصره وسرور» أي: أعطاهم بدل عبوس الفجار وحرزهم نصرته في الوجوه وسروراً في القلوب. وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله.

وَرَبِّهِمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١١﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا سَاسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٢﴾.

«بما صبروا» صبرهم على الإيثار. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة - جارية لهما - إن برأ سما بهما أن يصوما ثلاثة أيام. فشفي ما معهم شي، فاستقرض علي من شمعون الخبيري اليهودي ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبرت خمسة أقراص على عدهم فوضعها بين أيديهم ليقطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وبتوا لم ينوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون

(1) تمطير: شر قطرير، أي شديد.

(2) نكره الثعلبي في تفسيره، ورواه الحكيم الترمذي في كتاب: نوادر

الأصول، زيلعي: 4/134.

(3) سورة الرحمن، الآية: 55.

الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل علي رضي الله عنه أبداع، وفي شعر بعض المحدثين:

سل سبيلاً فيها إلى راحة النفس من براح كانها سلسبيل
وعيناً بدل من زنجبيلاً، وقيل: تمزج كأسهم بالزنجبيل
بعينه أو يخلق الله طعمه فيها، وعيناً على هذا القول مبلة
من كأساً كأنه قيل: ويسقون فيها كأساً كأس عين، أو
منسوبة على الاختصاص.

﴿رَبُّوهُ عَيْنٌ وَلَدَانٌ عُنْدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَيْثُ تَمَّ لُؤْلُؤُكُمْ شَوْكًا﴾ (١٧).

شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في
مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور. وعن المأمون: أنه ليلة
زفت إليه يوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط
منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ
فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال:
له بر أبي نؤاس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كان صفري وكبري من فواقعا حصباء بر على أرض من الذهب
وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه
أحسن وأكثر ماء.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَيْبًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ (١٨).

﴿رَأَيْتَ﴾ ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم
كانه قيل: وإذا أوجبت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائي
أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير
﴿وَنَمَّ﴾ في موضع النصب على الظرف يعني: في الجنة.
ومن قال: معناه ما ثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز
إسقاط الموصول وترك الصلة. ﴿كَبِيرًا﴾ واسعاً وهنيئاً.
يروى أن أنس أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف
عام يرى أقصاه كما يرى أنباه. وقيل: لا زوال له وقيل: إذا
أرادوا شيئاً كان، وقيل: يسلم عليهم الملائكة ويستأننون
عليهم. قرئ: عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره.

﴿عَلَيْهِمْ نَيْبٌ سُنْدُسٌ خَضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوهُمُ أَسَاوِرٌ مِنْ يُضَرَ وَنَتْنُهَا رِيحٌ
شَرَّارٌ مَهُورًا﴾ (١٩).

﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾ أي: ما يعلوهم من لباسهم ثياب
سندس، وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير في
يطوف عليهم أو في حسبتهم. أي: يطوف عليهم ولدان
عاليًا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤاً عاليًا لهم
ثياب، ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب
وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم، وخضر
واستبرق بالرفع حملاً على الثياب بالجر على السندس^(١).
وقرئ: واستبرق نصباً في موضع الجر على منع الصرف
لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف

﴿ذُرُّوكمَا نَقِيرًا﴾ (٢٠).

﴿قَوَارِيرٌ قَوَارِيرٌ﴾ قرئتا غير منونين وبتنوين الأول
وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة،
وفي الثاني لاتباعه الأول، ومعنى قوارير من ﴿فضة﴾ أنها
مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في
صفاء القوارير وشفيفها

﴿فَإِنْ قُلْتُمْ: مَا مَعْنَى كَانَتْ؟ قُلْتُمْ: هُوَ مِنْ يَكُونُ فِي قَوْلِهِ:
كَنْ فَيَكُونُ. أَيْ: تَكُونَتْ قَوَارِيرٌ بِتَكْوِينِ اللَّهِ تَفْخِيمًا لِتِلْكَ الْخَلْقَةِ
الْعَجِيبَةِ الشَّانِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ صَفَتِي الْجَوْهَرِينَ الْمُتَبَايِنِينَ
وَمَنْهَ كَانُ فِي قَوْلِهِ: كَانُ مَزَاجُهَا كَافُورًا. وَقُرِئَ: قَوَارِيرٌ مِنْ
فُضَّةٍ بِالرَّفْعِ عَلَى هِي قَوَارِيرٌ. ﴿قَدْرُوها﴾ صفة لقوارير من
فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون
على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا.
وقيل: الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله: ﴿وَيُطَافُ
عَلَيْهِمْ﴾ على أنهم قدروا شربها على قدر الري وهو الذ
للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز،
وعن مجاهد: لا تفيض ولا تغيض، وقرئ: ﴿قَدْرُوها﴾ على
البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولاً من قدر،
تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرًا له ومعناه:
جعلوا قادرين لها كما شاوروا وأطلق لهم أن يقدروا على
حسب ما اشتهوا.

﴿رَبِّتُّوهُنَّ فِيهَا كَأْسًا كَانَ رِزَاقُهَا زَيْجِلًا﴾ (٢١).

سميت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل فيها والعرب
ستلذته وتستطيه قال الأعشى:
كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريامشورا
وقال المسيب بن علس:
وكان طعم الزنجبيل به إذ نقته وسلافة الخمر
عَيْنًا فِيهَا شَسٌّ سَتَيْبِلًا (٢٢).

﴿وَسَلْسَبِيلًا﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق سهولة
مساغها. يعني: أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة
ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل، وقد زيدت الباء في التركيب حتى
صارت الكلمة خماسية وبلت على غاية السلاسة. قال
الزجاج: السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية
السلاسة. وقرئ: سلسبيل على منع الصرف لاجتماع
العلمية والتأنيث، وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله
عنه أن معناه سل سبيلاً إليها وهذا غير مستقيم على
ظاهره إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلاً جعلت
علمًا للعين كما قيل: تأبط شرًا ونرى حبًا، وسميت بذلك
لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل

(١) قال أحمد: في هذا الوجه الآخر نظر، فإنه يجعله داخلًا في
مضمون الحساب، وكيف يكون ذلك وهم لا يلبسون السندس حقيقة
لا على وجه التشبيه باللؤلؤ بخلاف كونهم لؤلؤاً، فإنه على طريق

(١) قال أحمد: في هذا الوجه الآخر نظر، فإنه يجعله داخلًا في
مضمون الحساب، وكيف يكون ذلك وهم لا يلبسون السندس حقيقة
لا على وجه التشبيه باللؤلؤ بخلاف كونهم لؤلؤاً، فإنه على طريق

الثالث. وقيل: الأثم عتبه، والكفور الوليد، لأن عتبه كان ركاباً للمأثم متعاطياً لأنواع الفسوق، وكان الوليد غالباً في الكفر شديد الشكيمة في العتو.

فإن قُلْتَ: معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهياً عن طاعتها جميعاً! قُلْتَ: لو قيل: ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما. وإذا قيل: لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعته أحدهما عن طاعتها جميعاً انتهى كما إذا نهى أن يقول لأبويه: أف، علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى.

وَأَذْكُرْ أُمَّ رَبِّكَ بِكُرِّ وَأَيْبَاكَ ﴿١٤﴾

﴿وَأَذْكُرْ اسم ربي بكراً وأصيلاً﴾ ودم على صلاة الفجر والعصر.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَيِّمَهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿١٥﴾

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ وبعض الليل فصل له أو يعني صلاة المغرب والعشاء، وأدخل من على الظرف للتبويض كما نخل على المفعول في قوله: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾⁽¹⁾ ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ وتهجد له هزيعاً طويلاً من الليل ثلثي أو نصفه أو ثلثه.

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا ﴿١٦﴾

﴿إن هذا هو الأجر الذي كان لكم جزاءً وكان ساعيراً﴾ إن هَذَا إشارة إلى ما تقدم من عطاء الله لهم ما حوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم، والشكر مجال تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لأن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل، ليتقرر في نفس رسول الله ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيهه على أي وجه نزل إلا حكماً وصواباً، كأنه قيل: ما نزل عليك القرآن تنزيلاً مفرقاً منجماً إلا أنا لا غيري، وقد عرفنتي حكيماً فاعلاً لكل ما فعله ببواعي الحكمة ولقد دعنتي حكماً بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافاة والمصابرة وسانزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين.

فَمَنْ يَمْكُرْ بِكَ لِوَالِدَيْهِ إِذَا طَعَنَهُمْ فَأَنْتَ كَكُورًا ﴿١٧﴾

﴿فاصبر لحكم ربك﴾ الصادر عن الحكمة وتعليقه الأمر بالمصالح وتأخير نصرته على أعدائه من أهل مكة. ولا تطع منهم أحداً قلة صبر منك على أذاهم وضجراً من تأخر الظفر. وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونهم إلى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم. إن أجابهم.

فإن قُلْتَ: كانوا كلهم كفراً فما معنى القسمة في قوله: ﴿أَنَا أَوْ كُفُورًا؟﴾ قُلْتَ: معناه ولا تطع منهم ركباً لما ما هو ثم داعياً لك إليه أو فاعلاً لما هو كفر داعياً لك إليه؛ لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاثنين نون

(3) سورة الاعراف، الآية: 187.

(1) سورة إبراهيم، الآية: 10.

(2) سورة الأعلى، الآية: 16.

ففرّق بين الحق والباطل.
فَالْمُؤَيَّدَاتُ زَكَاةً .
 فالقين نكراً إلى الانبياء.
عُذْرًا أَوْ نَذْرًا .

﴿عذراً﴾ للمحققين **﴿أو نذراً﴾** للمبطلين، أو أقسم بريح عذاب أرسلهن فعضفن بريح رحمة نشرن السحاب في الجوف ففرّقن بينه كقوله: **﴿ويجعله كسفاً﴾** (3) أو بسحاب نشرن الموت ففرّقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر كقوله: **﴿لأسقيناهم ماءً غدقاً لنفتنهم فيه﴾** (4) فالقين نكراً إما عذراً للدين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا راوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما إنذاراً للذين يغفلون الشكر لله وينسيون ذلك إلى الأنواء. وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سبباً في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت.

فإن قلنت: ما معنى عرفاً؟ قلنت: متتابعة كعشر العرف، يقال: جاؤوا عرفاً واحداً، وهم عليه كعرف الضبع إذا تابوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي: أرسلن للإحسان والمعروف، والأول على الحال. وقرئ: عرفاً على التنقيح نحو نكر في نكر.

فإن قلنت: قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفًا! قلنت: إن لم يكن معروفًا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم.

فإن قلنت: ما العذر والنذر وبما انتصب؟ قلنت: هما مصدر أن من عذر إذا محا الإساءة، ومن أنذر إذا خوف على فعل كالكفر والشكر، ويجوز أن يكون جمع عنذر بمعنى المعذرة، وجمع نذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصايهما فعلى البديل من نكراً على الوجهين الأولين، أو على المفعول له، وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين. وقرئنا مخففين ومثقلين.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَعْدٍ .

أن الذي توعدون من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم. وعن بعضهم أن المعنى:

﴿وما تشاءون﴾ الطاعة **﴿إلا أن يشاء الله﴾** بقسرم عليها **﴿إن الله كان عليماً﴾** بأحوالهم وما يكون منهم. **﴿حكيماً﴾** حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ: تشاؤون بالتاء.

فإن قلنت: ما محل أن يشاء الله! قلنت: النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله، وكذلك قراءة ابن مسعود: إلا ما يشاء الله، لأن ما مع الفعل كان معه.

يُدْرِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا .

﴿يدخل من يشاء﴾ هم المؤمنون، ونصب **﴿والظالمين﴾** بفعل يفسره أعد لهم نحو: أو عدو كافاً، وما أشبه ذلك، وقرأ ابن مسعود: وللظالمين علي، وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير: والظالمون، على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف. عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنةً وحريراً (2).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المرسلات مكية

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْبًا .

أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره.

فَالْمُصَيَّرَاتُ غَمًّا .

عضفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففاً في امتثال أمره، ويطوائف منهم.

وَالنَّازِلَاتُ نَزْرًا .

نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أو حين.

فَالْمُؤَيَّدَاتُ زَكَاةً .

= لا تكون إلا إذا قسره الله عليها، والقسر مناف للمشيئة، فصار الحاصل أن مشيئة العبد لا توجد إلا إذا انتفت، فإذا لا مشيئة للعبد البتة، والاختيار وما هو إلا فر من إثبات قدرة العبد غير مؤثرة، ومشيئة غير خالقة ليتها له إثبات قدرة ومشيئة مؤثرين، فوقع في سلب القدرة والمشية أصلاً ورأساً، وحيث لزم الحيد عن الاعتزال، انحرف بالكلية إلى الطرف الأقصى متحيزاً إلى الجبر، فبا بعدما توجه بسوء نظره، والله الموفق.

(2) نكره التعليلي وابن مروييه والواحدي في تفسيره 4/136.

(3) سورة الروم، الآية: 48.

(4) سورة الجن، الآية: 16.

(1) قال أحمد: وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوّه على خزائن الكتاب العزيز، كدأب الشطار واللصوص فلنقطع يد حجة التي أعدها، وذلك حكم هذه السرقة وحدها فنقول: الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذي لا حصر ولا نصر أوضح منه، ألا ترى أن كلمة التوحيد اقتصر بها على النفي والإثبات؛ لأن هذا النظم أعلق شيء بالحصر وأبله عليه، فنفى الله تعالى أن يفعل العبد شيئاً له في اختيار ومشية، إلا أن يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل، فمقتضاه ما لم يشأ الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد، وما شاء منه وقوعه وقع وهو ريف: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وانظر إنباله القسر في تعطيل الآية لا توليها كيف ناقض به، فإن معنى الآية عنده: أن مشيئة العبد الفعل =